قراءة نقدية في قصيدة -حبيبي- لمحمد ولد أدوم

أ. د. حازم فاضل محمد البارز

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

Reading in the poem -My darling -For Mohammed Walad Adam

Assist. Prof. Dr. Hazim Fadhil Mohammed Albariz

University of Karbala/ College of Islamic Science

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى دراسة ظاهرة لطالما لاحظناها تتردّد في الشعر العربي القديم والحديث إلا وهو المديح النبوي والذي يعدّ من الموضوعات المهمة وله أهميته وتقاليده وأصوله، فكانت الدراسة بعنوان: قراءة في قصيدة -حبيبي- التي تضمنّت تمهيد بعنوان: محمد ولد أدوم - موجز سيرة، وثلاث محاور، الأوّل: العنوّنة وفعاليتها في القصيدة، والثاني: قراءة موضوعية فنية والثالث: تقانات القصيدة، ثم بعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة أكدت أنَّ المديح النبوي هو لون من ألوان التعبير عن العواطف الصادقة بعيداً عن التكلّف والتكسّب، ذات رؤيا دينية إسلامية له مكانته وأهميته من بين موضوعات الشعر، الذي أتخذه الشعراء وكان من بين هؤلاء الشعراء شاعرنا الذي أتخذه مجالاً للإشادة بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد استعمل الشاعر اللُّغةِ البسيطة والمعجم الديني والحوار والصور الشعرية والموسيقى الداخلية والخارجية، بعد ذلك قائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة العربية والإنكليزية.

Abstract

This research seeks to study an always noticed phenomenon that resonates in ancient and modern Arabic poetry, namely the praise of the Prophet. It is one of the important topics which has its significance, traditions and origins. Thus, the study entitled 'Reading in a poem - Habibi –', includes a preface under the title 'Mohamed Walad Adom' wherein a summary of a biography is presented. The research encompasses three axes: the first tackles the title and its effectiveness in the poem, the second discusses the artistic objective reading and the third deals with the techniques of the poem. Then the study ends with a conclusion confirming that the Prophet›s praise is a color of expression of sincere emotions far from costing and earning, with an Islamic religious vision that has its place and importance among the subjects of poetry. This vision was adopted by poets and among whom was our poet who took paid tribute to the Holy Prophet (PBUH). The poet used simple language, religious lexicon, dialogue, poetic images, internal and external music. The paper ends with a list of sources and references and a summary in Arabic and English.

المقدمة:

الحمدُ لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير من يعلم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهِ الأقوم وعلى لغتنا التي أعزها الله بالمصحف الأكرم سبحانه العلي الأعلم.

وبعد....

يسعى هذا البحث إلى دراسة ظاهرة لطالما لاحظناها تتردّد في الشعر العربي القديم والحديث إلا وهو المديح النبوي والذي يعدّ من الموضوعات المهمة، وقد نظم الشعراء فيه من القصائد التي لا تعدّ ولا تحصى تعبيراً عن العواطف الجياشة تجاه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعدما أصبح فناً قائماً بذاته، وله أهميته وتقاليده وأصوله، ولذلك لفتت انتباهي قصيدة تحمل عنوان -حبيبي- للشاعر محمد ولد أدوم أثناء مشاهدتي لمسابقة شاعر المليون والتي فازت في المراتب المتقدّمة ممّا أثارني لتحليل هذه القصيدة ودراستها، فكانت الدراسة بعنوان: (قراءة نقدية في قصيدة حبيبي) التي تضمّنت تمهيدا كان بعنوان: محمد ولد أدوم -موجز سيرة- ومن ثلاث محاور فكان المحور الأوّل: العنوّنة وفاعليتها في القصيدة والمحور الثاني: قراءة موضوعية فنية والمحور الثالث: تقانات القصيدة، ثم بعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة العربية والإنكليزية.

قصيدة -حبيبي- الشاعر محمد ولد أدوم

وألقى قميصَ الحبِ حَوْلي بشيرهُ
فأبصرتُ نوراً ليتَ أنّي أزورهُ
وما الشعرَ للأحبابِ إلاّ تولهٌ
وقربانَ تحنانٍ تسنتْ نذورهُ
قصيدي وأشواقي رسولا مَحَبّتي
لطهَ الذي عمَّ المجرةَ نورهُ
لطه الذي مهما تلفظَ مَقْولي
قصيداً ومنذوراً سيبدو قصورهُ

لطه الذي آنستُ منّي بَجْلوةٍ
نزوعاً إلى ريّاهُ يدنو عبيرهُ
لطه الذي أوقفتُ عمري لحبهِ
ويملؤني في كل آنٍ حضورهُ
وطه حبيبي كم سَكَرّتُ بحبهِ
أسكراً سوى هذا تحل خمورهُ؟
أحبُّ رسولَ الله طبعاً سجيتا
تَلَبَسّني من حيث أدري شعورهُ
أحبُّ رسولَ الله فيضاً من الرُؤى
ورؤيا من الفيضِ الموشَى حريرهُ
أحبُّ رسول الله نبعاً من التقى
وجسراً إلى الفردوسِ يَزْهو عبورهُ[1]

التمهيد: محمد ولد أدوم -موجز سيرة-

محمد ولد أدوم من مدينة – كيفه– من مواليد (٢٨ ديسمبر ١٩٨١)، حاصل على (الإجازة) في الآداب من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الترجمة –جامعة نواكشوط، وحاصل على الماستر المهني في علوم الاتصال من المدرسة الوطنية للإدارة والصحافة والقضاء، وحاصل على شهادة الكفاءة في الكتابة والإخراج، ومدير مشاريع ثقافية ومدرب في مجال إدارة المشاريع والمؤسسات الثقافية.

أمَّا المناصب التي تقلدها فهي:

١. مدير مهرجان نواكشوط الدولي للفيلم القصير سبع سنوات.
٢. مدير دار السينمائيين الموريتانيين ثلاث سنوات.
٣. رئيس منتدى القصيد الموريتاني.
٤. رئيس مصلحة التخطيط بوزارة العلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني.
٥. عضو اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين.
٦. عضو اتحاد الكتاب العرب.
٧. الأمين العام لمنتدى الشعراء الموريتانيين الشباب.

وله مجموعة من الدواوين هي: (أشياء، شواطئ أنثى،.....).

أمَّا الجوائز فهي:

١. حاصل على المركز الثالث في مسابقة أمير الشعراء الموسم السادس.

٢. حاصل على الجائزة الأولى في مسابقة اليوم العالمي للشعر المنظم من طرف جمعية التواصل- مارس ٢٠٠٥م.

٣. حاصل على جائزة أفضل شاعر في جامعة نواكشوط ٢٠٠٦م.

٤. حاصل على الجائزة الثانية في مسابقة (مائة عام على تأسيس مدينة كيفه المنظمة من طرف بلدية كيفه- ديسمبر ٢٠٠٧م.

٥. حاصل على جائزة ملتقى الشارقة للإبداع الشبابي ٢٠١٢م.

٦. شارك في عشرات المهرجانات الشعرية داخل وخارج موريتانيا.

٧. نشر عدة قصائد ومقالات ومعالجات أدبية في الدوريات الوطنية والعربية[٢].

يتناول هذا البحث عدد من المحاور هي:

المحور الأوّل: العنوّنة وفاعليتها في القصيدة

العنوان من خلال لفظة حبيبي هو صورة من صور التواصل الإنساني وهي أعمقها وأعقدها جميعاً، وتمثّل تبادلا شخصيا بين (الأنا) و (الأنت)، فهي اعتراف بالقيمة المطلقة للشخصية المحبوبة، فهي خروج من عزلتنا وتحطيم الذاتية وانتصار على الأنانية، وهذا هو السبب في تلك القشعريرة المقدسة التي تستولي على قلب الإنسان[٣] .

أمَّا المديح النبوي: هو الشعر الذي يتناول الإشادة بمقام الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وفضله وتعدّد صفاته الخلقية، وظهر المديح منذ انطلاق الدولة الإسلامية مع الأعشى وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحه، وصولاً إلى العصر العباسي مع الفرزدق

والكميت والرضي وغيرهم، ويكاد المديح النبوي منذ بداية القرن السابع يكون موضوعاً لا يختلف عليه اثنان، ومنهم من كان يفرد دواوين كاملة، وكان الشاعر شرف الدين البوصيري له التأثير العميق على أغلب شعراء المديح منذ القرن السابع وإلى اليوم، وقد اتسعّت دائرة التأثير والتأثر بشعراء المديح القدماء إلى يومنا هذا[٤].

أمَّا خصائص المديح النبوي فتتمّثل من خلال انطلاقه من رؤية إسلامية والذي يهدف إلى تغيير العالم المعيش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن وإيجابي، كما أنَّ هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجّلى في السيادة والأفضلية والنورانية، ويعني هذا أنَّ المديح النبوي يشيد بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفه سيّد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقة وخلقاً وهو كائن نوراني في عصمته ودماثة أخلاقه، لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالتمثيل واحتذاء منهجه في الحياة، كما أنَّ عشق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في القصيدة النبوية يتخّذ أبعاداً روحانية ووجدانية وصوفية...[٥].

أمَّا سبب الاهتمام بهذا الغرض، فيعود إلى مضامين المديح النبوي نفسها عموماً هي مضامين إسلامية تربوية هادفة إلى المشاركة في بناء المحتوى الداخلي للإنسان المسلم وشحذ همته وتزكية نفسه وتحريك عاطفته، فضلاً عن ذلك فقد عرف المجتمع الموريتاني في رغبته الكبيرة لإثبات هويته التي كادت العوامل التاريخية والجغرافية تحول من دون إثباتها، وكذلك الشوق إلى البلاد المقدسة من خلال تلبية لنداء الحج والأماكن المقدسة المتمثّلة بضريح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك الابتهال

والتوسل، فالدعاء يمثّل جانباً مهماً في حدّ الأزمات وغيرها من خلال التضرع إلى الله تعالى[٦].

المحور الثاني: قراءة موضوعية فنية

أولاً: القراءة الموضوعية.

١. الغرض الوجداني:-

وهذا الغرض يعبر الشاعر فيه عن أحاسيسه وعواطفه بشكل مباشر وعفوي من دون اللجوء إلى البنية الفخمة التي تأخذ فيها مساحة في غير الموضوع الأصلي، كقول الشاعر:

وما الشعرَ للأحبابِ إلاّ تولهٌ
قصيدي وأشواقي رسولا مَحَبّتي
لطه الذي أوقفتُ عمري لحبهِ
وقربانَ تحنانٍ تسنتْ نذورهُ
لطهَ الذي عمَّ المجرةَ نورهُ
ويملؤني في كل آنٍ حضورهُ

عاد الشاعر ليتحدث عن الغرام الذي حلَّ بقلبهِ، إذ عبر الشاعر عن تجربة عاطفية شديدة وصادقة تجاه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أوصلته ذكرى الحبيب إلى أعلى درجات التأثر المتمثّلة بالسكر وصولاً إلى الغرام المطلق كقوله:

وطه حبيبي كم سَكَرّتُ بحبهِ
أحبُّ رسولَ الله طبعاً سجيةً
أحبُّ رسولَ الله فيضاً من الرُؤى
أسكراً سوى هذا تحل خمورهُ؟
تَلَبَسّني من حيث أدري شعورهُ
ورؤيا من الفيضِ الموشَى حريرهُ

٢. القراءة الواقعية:-

برز هذا المستوى من خلال الكشف عن الأنساق الموجودة في النص، فهو انعكاس للعمل الاجتماعي الذي يبذله شعب من الشعوب بفئاته وطوائفه كافة ومظهر لما يتضمّنه هذا العمل من علاقات متشابكة[٧]، وقد اختار الشاعر انطلاقاً من المجتمع، وقد استمد رأيه من التاريخ فهو يقصد بالتطابق مع الواقع وما يتعلّق بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) فهي من جوهر الواقع، كقوله:

قصيدي وأشواقي رسولا مَحَبّتي
وطه الذي مهما تلفظَ مَقْولي
لطه الذي آنستُ منّي بَجْلوةٍ
لطه الذي أوقفتُ عمري لحبهِ
وطه حبيبي كم سَكَرّتُ بحبهِ
لطهَ الذي عمَّ المجرةَ نورهُ
قصيداً ومنذوراً سيبدو قصورهُ
نزوعاً إلى ريّاهُ يدنو عبيرهُ
ويملؤني في كل آنٍ حضورهُ
أسكراً سوى هذا تحل خمورهُ؟

إلى آخر القصيدة، وعليه نجدّ المستوى الواقعي من خلال صدق المشاعر التي عبر هنا الشاعر في هذه القصيدة، فكل وجوه الشكل والتشكيل والسياقات ما قبل النص وما بعد النص تمثّل تنوّعاً داخل وحدة، هي وحدة النص ووحدة حدس المبدع في داخل سياق اجتماعي وفني وبالتالي سياسي وثقافي[٨]، كقولهِ:

أحبُّ رسولَ الله طبعاً سجيتا
أحبُّ رسولَ الله فيضاً من الرُؤى
أحبُّ رسول الله نبعاً من التقى
تَلَبَسّني من حيث أدري شعورهُ
ورؤيا من الفيضِ الموشَى حريرهُ
وجسراً إلى الفردوسِ يَزْهو عبورهُ

فالموقف الإنساني بذاتهِ حيال الواقع إذا اعتمد النظر الصحيح والحس الصادق والثقة بالإنسان وبالقوى النامية إلى أبعد حدود الثقة، كان مبعث الإلهام واللهب الوجداني في ما يصنع الكاتب[٩]، فالإلهام الحق يتأتى من الشعور الإنساني بالواقع، فهذا يدلّ على واقعية الشاعر، والواقع الاجتماعي العربي يقدّم نفسه دوماً ممثّلاً البوابة الرئيسة، وعدّ صورة الآخر المتمثّلة بشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) متشّكلاً في المتخّيل وفي الخطاب، وهو الكائن الذي يتحرّك في الواقع، وجزء مدغم

في الواقع ويعدّ مكوناً لميدان الممارسة إلى درجة يصعب فيها التمييز بينهما فكثير من الثقافات تعيش في الواقع بواسطة المتخيّل وأخرى تعيش في المتخيّل الذي يعاش كواقع أو هو الواقع المتخيّل[١٠]، فقد تكون المرحلة هي التي تسفر على أي خصوصية أدبية، فالكاتب ذاكرة أخرى تقيم المسافة مع هذا المتخيّل، تتعامل معه، ترى فيه، تكتب منه، لهذا المتخيّل زمن تكونه والكتابة زمنها المختلف، وبين الزمنين تستمر علاقة الفرد بالواقع المادي من حيث هو حضور فيه في نظام العلاقة فيه، أي فيما يحدّد له موقعاً يحكمه ويتجاوزه كفرد[١١]، وقد ربط الشاعر الواقع بالصورة الشعرية، على غرار الصورة التاريخية والتي جعل منها الشاعر مرادفة للواقع، إذ ربط الشاعر الواقع انطلاقاً من نفسيته وبيئته الاجتماعية بصفة خاصة وفهم معطيات شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر فضائله ومحاسنه.

ثانياً: القراءة الفنية.

١. البعد الديناميكي:-

الصورة الشعرية ليست مجموعة من الكلمات اللغوية موزعة هنا وهناك كيفما اتفق بل هي من إيحاء تلك الكلمات بعلاقاتها وتفاعلها فيما بينها[١٢]، فأساس حركة الصورة الشعرية أو سكونها، إذا نظرنا إليه من داخل النص نجده يعود إلى نوعية الكلمات المكونة لها من جهة أخرى، فمن ناحية نوعية الكلمات تكون الأفعال في أزمانها كافة علامة دالّة على الحركة؛ لأنَّ الفعل هو الوجه الظاهر لحركة الصورة، ومن ثم فإن افتقار الصورة إلى الفعل يسلبها من دون شكّ الطاقة على الحركة ويكسّبها نوعاً من السكون[١٣].

وإن الهدف -في الغالب- من توظيف البعد الديناميكي في الصورة الشعرية هو إعطاء المعنى بعده الشامل،

فمن خلال هذا البعد يمكن أنَّ تشحن الصورة الشعرية بطاقة إيحائية أكبر، تكون ضمن العوامل الأخرى المؤثرة في المتلقي داخل الصورة.

أ- الصورة المتحركة:

توصّف الحركة بصورة عامة، بأنها تحقيق مستمر الوجود، فهي تمثّل الخط الموازي للحياة، بل هي الحياة نفسها؛ لأنَّ فقدان القدرة على الحركة يعني من الناحية العملية الموت لأي كائن حي، ولا تقتصر الحركة في الصورة الشعرية على المجال الميكانيكي فحسب، بل تشمل كل المجالات التي تصدر فعلاً نتيجة قوة كامنة[١٤]، فالصوت حركة، واللمس حركة، وحتى الانفعالات الداخلية تعدّ حركة. فقد بلغت الأفعال في النص (٢١) إحدى وعشرين فعلاً جاءت موزعة على عشرين شطر بمعدل فعل أو أكثر للشطر الواحد وكذلك دلالة هذه الأفعال اتّسمت بالسرعة والقوة والاندفاع: (القى، أبصرتُ، تسنّت، تلفظ، سيبدو، آنستُ، يدنو، أوقفتُ، سكرتُ، يزهو....).

ساعدت هذه الأفعال على إحداث هذا التوافق بين الحركة في الصورة الشعرية والمضمون المديحي، ويبدو أنَّ الشاعر كان يحاول إنتاج الصورة التي تتّصف بالتكامل التي تعتمد في تكوينها على مجموعة من العناصر التشكيلية والحركية، فضلاً عن إدخال أكثر من حاسة في نقل مظاهرها: (البصر، اللمس، اللبس، الوقوف، الذوق...) وهذا التنوّع بدورهِ قاد إلى إثراء جوانب الصورة بالتفاصيل ممّا حقق وظيفة إيصالية أقوى للمتلقي.

ب- الصورة الساكنة:

وهي الصورة الشعرية المفتقدة لعنصر الحركة، إذ تتّسم أبعادها بالثبوت والرسوخ، وهي أقرب ما تكون للوحة المرسومة، ويستخدم

هذا النوع من التصوير عادة في عملية عرض الأشكال أو الكشف عنها، فالشاعر يلجأ إلى هذه الصور ذات العلائق الشكلية الخارجية؛ لأنها ذات عنصر وصفي تعينه على بلورة التجربة بمشابهات لها في العالم الخارجي، فعندما يسقط الشاعر عالمه الداخلي على هذه الأشباه يقدم لنا صدى التجربة أو طيفاً لها[١٥].

فالوصف هو السمة الأساس لهذه الصورة الشعرية، جسّدت الأسماء ومن خلال هذه الأسماء اكتسبت الصورة طابع السكون، فالأفعال عادة ما تكون هي المسؤولة عن إعطاء الزخم الحركي للصورة، وبهذا كانت الجمل الاسمية المكوّنة للنص هي المسؤولة عن إرخاء حركة الصورة وإكسابها طابع السكون، فقد بلغت الأسماء في النص (٥٠) خمسين أسماً جاءت موزعة على عشرين شطراً بمعدل اسمان –أو أقل للشطر الواحد: (قميص الحبّ، بشيره، نوراً، تولهٌ...) وبين الصورة المتحركة والساكنة في النص أدى عموماً حضور الحركة وغيابها دوراً مهماً، إذ أسهمت هذه الصورة في تعزيز دلالتها، وأكسبها وضعها النهائي والواضح لدى المتلقي.

٢. الموسيقى وتنقسم الى

أ– الموسيقى الداخلية:

يوجد في هذا النص التكرار والمقصود به هو: الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني[١٦]، وهو في الشعر عبارة عن تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير إذ تشكّل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره[١٧].

ولا يقتصر توظيف التكرار في النص على الجانب الإيقاعي فحسب، بل كل تكرار ومهما كان نوعه يستفاد منه في زيادة النغم وتقوية الجرس، بل يمتد إلى جوانب أخرى كالجانب

النفسي والجانب الدلالي[١٨].

والتكرار يكون من:

- تكرار المفرد:

هو تكرار لفظ مفرد مرتين أو أكثر، وهذا اللفظ يكون سماً أو فعلاً أو حرفاً، وبهذا التكرار كان يحاول الشاعر تكثيف التناغم الصوتي بين أجزاء النص، فالوحدات المتكرّرة تعمل على خلق نوع من التوافق الموسيقي ينتج عنه تناغم في الصوت، يتكثف من خلال زيادة الوحدات المكرّرة، فالإيقاع في النص يتناسب طردياً مع الوحدات المكرّرة، فالأفعال هي: (أحبّ) فقد ذكر الفعل ثلاث مرات في النص، أمَّا الأسماء فهي : (طه، رسول، الله، الفيض، السكر، رؤيا....) أمَّا الأحرف فهي: من وغيرها.

- تكرار التركيب:

هو كل تكرار يتكوّن من أكثر من لفظ واحد مفرد، يضمُّ هذا التكرار الجمل وأشباه الجمل وما شابهها من التراكيب التي لا يكتمل معناها إلاّ مع غيرها كقوله:

أحبُّ رسولَ الله طبعاً سجيةً
أحبُّ رسولَ الله فيضاً من الرُؤى
أحبُّ رسول الله نبعاً من التقى
تلبَّسني من حيث أدري شعورهُ
ورؤيا من الفيضِ الموشَى حريرهُ
وجسراً إلى الفردوسِ يَزْهو عبورهُ

وكذلك قوله:

لطه الذي مهما تلفظَ مَقْولي
لطه الذي أوقفتُ عمري لحبهِ
لطه الذي آنستُ منّي بَجْلوةٍ
قصيداً ومنذوراً سيبدو قصورهُ
ويملؤني في كل آنٍ حضورهُ
نزوعاً إلى ريّاهُ يدنو عبيرهُ

وهذا النوع من التكرار يؤدي دوراً مهماً في خدمة دلالة النص إلى جانب دوره الإيقاعي.

-التصريع:

وهو يقصد لتصيير مقطع آخر المصراع الأوّل في البيت الأوّل من

القصيدة مثل قافيتها[١٩]، ولا بد منه في مطلع القصيدة؛ لأنَّه يميّز بين الابتداء وغيره، ويفهم منه قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها[٢٠]، كقول الشاعر:

وألقى قميصَ الحبِ حَوْلي بشيرهُ
فابصرتُ نوراً ليتَ أنّي أزورهُ

استعمل الشاعر هذا اللون دليل اقتداره وغزارة مادته اللغوية، أضيف إلى ذلك بما يمنحه هذا اللون من إيقاع نغمي يشدّ الأبيات الشعرية بهذا الرباط الصوتي ممّا يجعل للمتلقي بهجة ومتعة وجمالا[٢١].

ب- الموسيقى الخارجية:

القصيدة من البحر الطويل، وهو ذو بهاء وقوة، وقد استطاع احتواء تجارب شعرية كثيرة على امتداد التاريخ، وهو من أكثر البحور حروفاً وحركات، وقد وفق الشاعر في اختياره إذ سمح له بممارسة الرياضة اللغوية وكان حرف الروي موحياً، فالراء المضمومة مع الهاء أعطت هذه الراء متسعاً من التعبير عن الحركة والتفاؤل بالممدوح.

المحور الثالث: تقانات القصيدة

أ- التناص وأثره في ترسيخ المعنى القرآني في القصيدة:

يمثّل القُرآن الكَرِيم السمة البارزة في الخطاب الإسلامي والمرجعية الأولى فيه، والعودة إليه يعطي الشعر مصداقية متميزّة لمعاني الخطاب الشعري، ذلك انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني نفسه لما يتميّز به من جمال اللفظ وجودة الأسلوب وأحكام المعنى، فقد سحر البلغاء وأعجز الخطباء وتحدى الفصحاء وهذا ما نجده عند الشاعر:

وألقى قميصَ الحبِ حَوْلي بشيرهُ
فابصرتُ نوراً ليت إنّي أزورهُ

فهذا البيت تضمين واضح من قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ....}[٢٢].

والدعاء بالنسبة للمؤمن جانباً مهماً في صدّ الأزمات وتخلّص النفس من الشدائد والكروب من خلال الاستشفاع بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبهذا الابتهال ختم الشاعر قصيدته بقوله:

أحبُّ رسول الله نبعاً من التقى
وجسراً إلى الفردوس يزهو عبورهُ

وهذا ما نجده في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}[٢٣].

ب- الحوار الدايالوجي :-

وهو الحوار الذي يدور بين شخصيتين المتمثّلة بـ(الأنا) الشاعر والآخر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفيه يقدّم الشاعر مرآة صادقة عن أسلوب هذا الحوار، إذ نجدُ الشاعر هنا يرسل إشارات دلالية مهمة تكشف عن صفاء النفس، وعن قلب إنساني، ففي ظلّ الوحشة والفناء المهيمن على البشر عموماً، نجدُ الشاعر عبر عن هذا الموقف بضده معاً يعيد للبشر توحّده متجاوزاً كل أنواع الصراع الطبقية والعرقية والدينية ليشمل هذا الاحساس حتى المجرمين من بني البشر، فالذات تمتد متجاوزة فرديتها، فالأنا تصبح هي الآخر من خلال العشق والغرام لشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى الرغم من أنَّ الشاعر يقف في هذه القصيدة موقف الواصف الخارجي، من دون الرجوع إلى الرموز والصور الشعرية المكثفة كحسان والبوصيري وغيرهم، لكن رغم ذلك مثلت رؤية تحيل إلى علاقة وثيقة وصادقة بين الأنا والآخر[٢٤]، كقوله:

وطه الذي مهما تلفظَ مَقْولي
لطه الذي آنستُ منّي بَجْلوةٍ

لطه الذي أوقفتُ عمري لحبهِ
قصيداً ومنذوراً سيبدو قصورهُ
نزوعاً إلى ريّاهُ يدنو عبيرهُ
ويملؤني في كل آنٍ حضورهُ

الخاتمة:

بعد أنَّ تمت - بعون الله وفضله- هذه الدراسة والتي كانت غايتها: (قراءة في قصيدة حبيبي)، نلخص مجمل النتائج، فكانت بما ياتي:

يعدّ المديح النبوي من فنون الأدب العربي، فهو لون من التعبير عن العواطف الصادقة بعيد عن التكلّف والتكسّب، ذات رؤيا دينية إسلامية ويعدّ فناً أصيلاً وموضوعياً بارزاً له مكانته وأهميته من بين موضوعات الشعر، الذي اتخذه الشعراء مجالاً للإشادة بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد استعمل شاعرنا اللغةَ البسيطة والمعجم الديني والحوار الديالوجي والصور الشعرية الجميلة، والموسيقى الداخلية والخارجية، ولكن من المآخذ على هذه القصيدة هو التكرار في الأسماء فالتكرار بشكل متواتر أضفى على القصيدة جوّاً من الرتابة الإيقاعية، فقد كرّر الشاعر: طه (٥) مرات ومحمد (٣) مرات، وقد ذكر الشاعر الحبّ والشوق والهيام من دون ذكر المخاطر التي يتعرض لها الإسلام وفيها من الخطابية النثرية (قميص يوسف) على الرغم من قصر النص لكن رغم كل ذلك تبقى قصيدة جميلة جداً ونالت إعجاب الملايين من الناس وفوزها بالمراكز المتقدمة في مسابقات عربية.

الهوامش:

١- ينظر: مديحية الشاعر محمد ولد أدوم التي شارك بها في نهائي أمير الشعراء، Youtube.

٢- ينظر: لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، Google.

٣- ينظر: مشكلة الحبّ، د. زكريا إبراهيم، ٢٥٤- ٢٥٥.

٤- ينظر: المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك.

٥- ينظر: المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، د. محمود سالم، ٤٧- ٤٨.

٦- ينظر: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، أحمد بن الحسين، ٦٨.

٧- ينظر: المؤسسة النقدية والاستجابة لتغير الواقع، سامي سليمان أحمد، ٥١.

٨- ينظر: محمود مندور والنقد الثقافي، محمود أمين العالم، ٣٨٣.

٩- ينظر: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، حسن مروة، ١١٤.

١٠- ينظر: صورة الآخر في شعر المتنبي، محمد الخباز، ٢٥.

١١- ينظر: في معرفة النص، يمنى العيد، ٤٥.

١٢- ينظر: الصورة الفنية في الدراسات العربية المعاصرة، فؤاد المرعي، ٣٩.

١٣- ينظر: الشعر الحر في العراق، يوسف الصائغ، ١٨٣.

١٤- ينظر: حركية الإبداع، خالدة سعيد، ٧٢.

١٥- ينظر: حركية الإبداع، خالدة سعيد، ٧٣- ٧٤.

١٦- ينظر: معجم مصطلحات العربية في اللُّغةِ والأدب، مجدي وهبة وآخرون، ١١٧.

١٧- ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث الدلالي والبلاغي عند

العرب، ماهر مهدي هلال، ٢٣٩.

١٨- ينظر: المَصدرُ نَفسَهُ، ص ٢٤١.

١٩- ينظر: نقد الشعر، قدامة ابن جعفر، ٥١.

٢٠- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني.

٢١- ينظر: الرؤيا والتشكيل في شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. حازم فاضل البارز، ١٦٣.

٢٢- سورة يوسف: ٩٣.

٢٣- سورة المؤمنون، ١١.

٢٤- ينظر: ديالكتيك القصة في النص القرآني، د. حازم البارز، ٣٠٦- ٣١٢.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث الدلالي والبلاغي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ١٩٨٠م.

٢- حركية الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٨٢م.

٣- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، حسن مروة، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ١٩٨٨م.

٤- ديالكتيك القصة في النص القرآني، د. حازم البارز، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٢٠م.

٥- الرؤيا والتشكيل في شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. حازم فاضل البارز، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٢٠م.

٦- الشعر الحر في العراق، يوسف الصائغ، مطبعة الأديب، بغداد، العراق، ١٩٧٨م.

٧- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، أحمد بن الحسن، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط٢، ١٩٩٥م.

٨- صورة الآخر في شعر المتنبي، محمد الخباز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٩- الصورة الفنية في الدراسات العربية المعاصرة، فؤاد المرعي، وعبد الله عساف، مجلة بحوث، جامعة حلب- سوريا، العدد (١٣)، ١٩٨٨م.

١٠- في معرفة النص، يمنى العيد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١١- لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، Google.

١٢- محمود مندور والنقد الثقافي، محمود أمين العالم، مجلة النَّقدُ الأدبي،

مجلد (١٦)، العدد (١)، د. ت.

١٣- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، د. محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، دمشق- سوريا، ١٩٩٦م.

١٤- المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٩٣٥.

١٥- مديحية الشاعر محمد ولد أدوم التي شارك بها في نهائي أمير الشعراء، Youtube

١٦- مشكلة الحبّ، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط٣، ١٩٧٠م.

١٧- معجم مصطلحات العربية في اللُّغةِ والأدب، مجدي وهبة وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

١٨- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٦م.

١٩- موريتانيا الحديثة، محمد يوسف مقلد، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م.

٢٠- المؤسسة النقدية والاستجابة لتغير الواقع، سامي سليمان أحمد، مجلة النَّقدُ الأدبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الأسكندرية، مجلد (١٦)، العدد (١)، القاهرة- مصر، د- ت.

٢١- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة ابن جعفر، تحقيق، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط٣، ١٩٨٧م.